الصحيفة الجديدة
العدد:96 8-14 شتنبر 2000 - الثمن: 5 دراهم
أسبوعية مغربية جامعة تصدر كل جمعة
• مدير النشر: ابوبكر الجامعي • رئيس التحرير: نور الدين مفتاح • الإيداع القانوني: 21 / 98

بحثت "الصحيفة" عن الجواب في البلقان وهي تستجوب مولاي هشام وكوشنير

وتلتقط الجزئيات العميقة لمهمة أممية شاقة:

ماذا يفعل أمير مغربي في كوسوفو؟

الأمير مولاي هشام يتحدث لبرنار كوشنير الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة بكوسوفو

الأمير مولاي هشام ل "الصحيفة":

تجربتي بكوسوفو غيرتني بشكل عميق

يقول الأمير مولاي هشام إن مهمته في الكوسوفو: "تجربة إنسانية غنية، دفعتني إلى إعادة تحديد أولوياتي والى تجنب المصطنع والنفاذ إلى العمق ويضيف إنها تجربة غيرته بشكل عميق. وفي أجوبة الأمير على أسئلة "الصحيفة" سيلاحظ القارئ هذا التغيير الذي أفصح عنه مولاي هشام حيث تخرج الخلاصات العميقة من صلب تجربة هدم التنافر الاثني ونبذ العنف وبناء دولة على أركان التسامح.

الامير مولاي هشام يتوسط اعضاء البعثة المغربية بكوسوفو

• ما الذي فاجأك في وضعية الكوسوفو؟

▪ لم أكن أتصور أن كل جماعة تحس بأنها مضطهدة، وأن كل هجوم هو في الواقع دفاع.

والسبب يعود إلى اختلاف حول مفهوم القانون بالنسبة للصرب، هناك المفهوم التاريخي، فهم يعتبرون الكوسوفو مهدا لشعبهم، وبالتالي فهم في ديارهم. ويؤمن الألبان بالقانون الطبيعي. إذ يشكلون الأغلبية المطلقة للبلد، وبالتالي فهم في ديارهم، ولدى الأتراك يطغى التشبث بالقانون المكتسب، فقد خول دستور 1974 الذي وضعه تيتو انفصالا للإقليم الصربي بالكوسوفو ومنح الأقليات صلاحيات واسعة. وانطلاقا من هذا الدستور يطالب أتراك الكوسوفو اليوم بأن تصبح لغتهم لغة رسمية. هذه التصورات المختلفة يتم استغلالها من طرف "المقاول السياسي"، الشيء الذي يخلق التناسق الإثني. وهذه الظاهرة هي أساس الصراع، ويتعلق الأمر الآن بخلق تناسق سياسي لمواجهة التناسق الإثني.

• ما هو دور البعثة الأممية لإدارة الكوسوفو (المينوك)؟

▪ بالتحديد، تطبيق القرار 1244، أي إدارة التراب مع البقاء في نطاق الجمهورية الفدرالية ليوغوسلافيا. نحن مؤتمنون على بعض مظاهر السيادة، خاصة فيما يتعلق بالوحدة الترابية ليوغوسلافيا، وبناء نوع من الاستقلال، وذلك كله في إطار ديمقراطي. في وضعية الكوسوفو، يتعلق الأمر بمساعدة السكان على إعادة بناء مجتمعهم.

• ومن الذي سيقرر حدود هذا الاستقلال (الانفصال)؟

▪ الفكرة العامة هي كون المجموعة الدولية من خلال البعثة الأممية هي من تتخذ القرارات الأولية مع إشراك سكان الكوسوفو في كل مرحلة من مراحل وضع أسس المجتمع الديمقراطي. وهذه البعثة هي التي تقوم بتحويل السلطة إلى سكان الكوسوفو .

• هل يعني ذلك الاستقلال ؟

▪ سأجيبك بما أقوله للكوسوفار حينما يطرحون علي السؤال . لا يحتاج كل نقاش للبدء بالاستقلال. هناك قضايا أساسية تفرض نفسها: العودة إلى الوضع العادي، القضاء على العنف، إعادة فتح الحوار بين الجماعات، وفي نفس الوقت بناء المؤسسات الديمقراطية.

• ألا تحسون أنكم تطلقون النار في الفراغ ؟

▪ القرار 1244 بمثابة الهيكل العظمي الذي يكسي لاحقا باللحم .

• كيف تتعامل البعثة الأممية مع مجتمع الكوسوفو؟

▪ حسب كل جماعة، أحيانا التعامل جيد، وأحيانا أقل، وبشكل عام، يتعامل الإداريون البلديون بمنطق نضالي، فهم الذين يتعاملون مباشرة مع السكان، وعليهم معالجة المشاكل يوميا، ويمكن أن أقول بأن التعامل يكون صعبا كلما كانت العلاقات الاثنية سيئة. وهذا ليس دائما، مثلا في كمينكا حيث العلاقات بين الألبان والصرب جيدة، قام الصرب أيام الاضطهاد بحماية جيرانهم الألبان والعكس حصل عند خروج الجيوش الصربية. ولكن هذا لا يشكل القاعدة مع الأسف، ففي ادجاكوفا مثلا، مازالت قضية المختفين الألبان تسمم الجو، الشيء الذي يمكن تفهمه ولكنه يزيد مهمة البعثة الأممية تعقيدا في هذه المنطقة.

• هل للوضعية الاقتصادية دور في رسم هذه الوضعية ؟

▪ نعم ، فحيث ما توجد بنيات تحتية مريحة تكون العلاقات جيدة بين البلدية والسكان، فحالة ابريزرين واضحة، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض بلديات بريستينا. وبديهي أيضا أن الإجراءات الزجرية لا تتم على ما يرام بالنسبة للسكان. فجزء هام من المعاملات يتم في السوق السوداء وهو ما تحاول المجموعة الأوربية تقنينه. فالحرب كلفت 5.5 مليار أورو. ومن بين ال 6 مليار أورو المخصصة للمساعدة والتي كان من المفروض توجيهها لإعادة بناء البلاد، النصف فقط هو الذي صرف لهذه الغاية، والمشكل يزداد خطورة حينما نعلم أن إعادة البناء الاقتصادي للبلاد يجب أن يتم وفق معايير الأورتودوكسية المالية المؤلمة التي يمليها صندوق النقد الدولي والبنك العالمي.

• ماذا تفعلون عمليا لزرع قيم التسامح في مجتمع يعاني من جراح غائرة؟

▪ ليست هناك وصفات جاهزة.

• صرحتم بأن ميلوسوفيتش ابن حرام، ألا تدفعون بهذا الألبان للمزيد من التطرف؟

▪ أنا لم أكتف بذلك، لقد استطردت قائلا بأنه لا يجوز أن يدفع صرب الكوسوفو ثمن أخطاء الكوسوفو وأكثر من ذلك، فالصرب ضحايا النظام الفاشي لبلغراد.

لنعد إلى مفهوم التسامح، يتعلق الأمر بالقضاء على العنف، قبول الآخر وخاصة الإيمان بمستقبل مشترك، القضية الأولى تم التغلب عليها عمليا. ومن المؤكد أن هناك انتفاضات حقبية تقوم بها الأقليات المتطرفة، ونحن الآن بصدد المرحلة الثانية والتي ستكون صعبة. وهذا مسلسل معقد جدا، يتطلب 20 سنة، أو بالأحرى جيلا بكامله.

• لكن الوضعية في ميتروفيتشا حيث المجموعات الاثنية منقسمة لا تؤكد أقوالكم.

▪ إنها حالة شادة. فهي قريبة جغرافيا من صربيا، إنها مدينة رمز. البعض يشبهها بحائط برلين

بالنظر لنهر ايبار الذي يقسم المدينة إلى جزءين، وأنا لست متفقا مع هذا التشبيه، وأعتقد أنه يمكن مقارنتها ببلفاست أو بيروت. إن الهوية الإثنية اليوم أقوى من أي اختلاف إيديولوجي. وتظل هذه الحالة خاصة وصعبة وغير قابلة للتعميم .

• هل تساعدك مغربيتك وإسلامك في هذه المهمة؟

▪ يمكن أن نقارن ذلك بوضعية عضو العائلة البعيد الذي يأتي في الظروف الصعبة، فالتقارب الحضاري يساعد، والخطاب يمر بشكل أفضل. وهذا ينطبق أيضا على الكتيبة المغربية أو الإماراتية أو حتى بالنسبة لأعضاء البعثة الأممية المسلمون خاصة والعرب .

• غادر الفرع البلجيكي لأطباء بدون حدود الكوسوفو بدعوى وضعية الأقليات الكارثية. ألا يعتبر ذلك شهادة فشل؟

▪ إنه حدث ذو دلالة أحس به بشكل قوي، فمستوى العنف بكوسوفو جد مرتفع . وهذا العنف موجه في أغلب الحالات ضد الأقليات، هذا صحيح، ولكن اتهامات أطباء بلا حدود البلجيكيين تتجاوز الحدود، فهم يدعون بأن العنف ضد الأقليات يتجاوز المستوى الذي كان عليه قبل الحرب.

خلال الحرب وبعدها اتسعت الشروخ بين المجموعات الإثنية، لدرجة أنه في بعض المناطق بكوسوفو، ميتروفيتشا وجيلان مثلا نضطر، أمام مخاطر المواجهات والاغتيالات، إلى وضع جندي تابع لقوات ال"كفور" أمام كل منزل. وتبقى الطريقة الوحيدة للتعجيل بتقليص مستوى العنف، هي الإعلان عن حالة الاستثناء، أي القيام بإجراءات لا ديمقراطية، بينما الحل الوحيد على المدى البعيد لضمان السلم والطمأنينة يكمن في بناء دولة الحق والديمقراطية. ويمكن أن أؤكد لكم أن قوات ال "كفور" والبعثة الأممية يعملان كل ما في وسعهما لحماية الأقليات .

•ما هي الخلاصة التي تستنتجونها من تجربتكم؟

▪ إنها تجربة إنسانية غنية، دفعتني إلى إعادة تحديد أولوياتي وإلى تجنب المصطنع والنفاد إلى العمق، وأعتقد أنها تجربة غيرتني بشكل عميق .

استجوبه: أ.ج